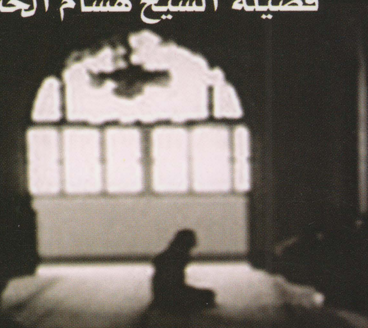
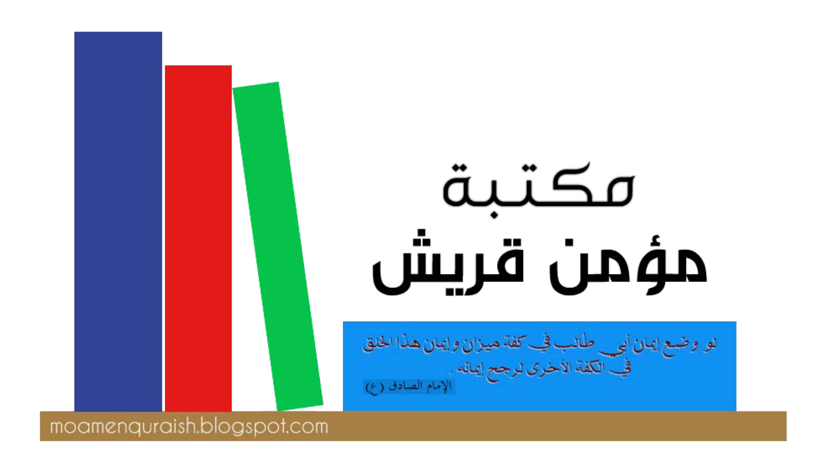
لحظة مع الله

تأليف

فضيلة الشيخ هشام الخنيزي



دار العصمة


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

لحظة مع الله


بسم الله الرحمن الرحيم

لحظة مع الله

تأليف
فضيلة الشيخ هشام الخنيزي

دار العصمــة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

دار العصمة / كتب - قرطاسية - ترجمة - طباعة - خدمات أخرى

مملكة البحرين - السنابس
daralesmah@hotmail.com – ٠٠٩٧٣/٣٩٢١٤٢١٩ – ٠٠٩٧٣/١٧٥٥٣١٥٦

الإهداء

إلى كل من يريد أن يسلك

طريق الحق..

مقدمة الطبعة الثانية

« مقدمة الكتاب »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين وحبيب اله العالمين ابى القاسم المصطفى محمد واله الطيبين الطاهرين لاسيما ناموس الدهر وإمام العصر عجل الله فرجه وجعلنى الله فداه.

إنّه وبعد الإقرار بالأصول الخمسة « التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد » ينبغى تفعيل دور هذا الإقرار والايمان إلى مرحلة العمل فى جميع شؤون الحياة فإنّه لابدّ وأن يكتب الإنسان هذه العقائد الحقة بنور عقله على صفحة قلبه كى ترسخ فى القلب وتتبلور نتائجها فى فكر وعمل الإنسان وهذا إنّما يتمّ بعد إتمام مراحل ليست بقليلة لكنّها

تحتاج فى إتمامها إلى إرادة قوية تبلغ حدًا تقف أمامها كلّ الصّعاب فى حالة ذلّ وتصاغر...

و من هذه المراحل:

١- مرحلة التّفكر،

٢- مرحلة التّفهيم،

٣- مرحلة التّطبيق، أى العمل.

فإن مجرد العلم بهذه العقائد عن طريق الدّليل العقلى أو ضروريّات الأديان ليس كافيًا فى تحصيل اليقين القلبى الّذى هو نحو من الخضوع والتّقبل وبكلمة واحدة هو الإطمئنان الكامل الّذى ينتجّ عن الايمان.

فإن العلم أمر عقلى والايمان أمر قلبى ولتقريب المعنى أذكر مثالاً[1] وهو أنّ أحدنا لا يبيت مع ميّت فى ليلة مظلمة مع أنّ عقله يدرک أنّ هذا الميّت لا حراک له بل إنّه لا يتمكّن من فعل أىّ شيء ولكن ولأنّ القلب لم يتقبل بعدُ ولم يسلّم أمره للعقل تصبح عنده حالة الخوف ويتجلّى هذا الأمر - أى

1- ذكره الإمام الخمينى قدس سره فى كتابه ٤٠ حديث.

المغايرة بين الإيمان والعلم - فى قضية ابليس فإنّه يعلم بأنّ الله هو خالقه وخالق آدم: « خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ »[1].

وأنّ يوم القيامة آتٍ حيث قال: « أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ »[2].

فتحصّل من جميع ذلک أنّ العلم شيء والايمان شيء آخر فلابدّ للحصول على الإيمان من تفهيم القلب حتّى يذعن ويصل إلى الإطمئنان وعندها سوف يكون القلب منيراً بنور الايمان ممّا يجعله حيًا بالمعارف الحقة ويدفع صاحبه إلى الخير وعمل الصّالحات.

ولا شکّ فى أنّ الإنسان لتحصيل هذا النوع من الإرادة يفتقر إلى العون الإلهى والمدد الرّبّانى لحظةً بلحظةٍ[3] وهذه الصفحات التى بين يديک أخى القارىء هى محاولة متواضعة لرفع مستوى الإرادة لدى القارىء من خلال التّذكير بالآخرة

1- الأعراف: ١٢.

2- الأعراف: ١٤.

3- قال الله تعالى فى الكتاب الشّريف: « كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا » الإسراء: ٢٠.

كى يسير فى جهاده الّذى لا ينتهى إلا بـالموت: « يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَـٰقِيهِ »[1].

فإنّ الإنسان إنّما خلقه الله تعالى لكى يكون خليفته فى الأرض جاء ليكون سائراً إلـى الله عزّوجـل فـ « إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا »[2] وذلك أنّ الإنسان لو رجـع إلـى نفسه فـى خلـوة وسألها كيف يمكن لك أن تكونى سعيدة فإنّهـا سـوف تجيبـه قطعًا أنّ الطّريق الوحيد للسّعادة هو الطّمأنينـة الحاصـلة عـن طريق الإرتباط بالله تبارك وتعالى وأمّا ما يُتَـوهَّم أنّـه سـعادة كالحصول على المال والجاه فإنّه وإن كان سعادة إلا أنها نسبية وأما السّعادة المنشودة فهى الأبدية منها أى فى هذه الدّنيا وفى الآخرة وهذا لا يمكن إلا بطريق الإستقامة بالسّعى الحثيث أن يرضى الإنسان ربّه جلّ وعلا بحيث:

« أن لا يجده الله عزّوجل حيث نهاه وأن لا يفتقده حيث أمره».

1- الانشقاق: ٦.

2- الإنسان: ٣.

وخير معين - فى هذا السّفر الّذى لا نعلم لـه تاريخـاً كيف ومتى وأين ينتهى فتبدأ المرحلة المهمة وهى النتيجة لكلّ أعمالنا فى هذه الدّنيا إن خيراً فخير وإن شرّاً فشر - هو أن لا ينسى الواحد منّا أنه فى دار الفنا وأن الدار الآخرة هى الباقيـة فلابدّ وأن نهيّىءَ أنفسنا لها بالعمل الصّالح، فإنه:

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها

إلا التى كان قبل الموت يبنيها[1]

فإن بناها بخير طاب مسكنــــه

و إن بناها بشَرّ خاب بانيها[2][3]

هشام عبدالواحد الخنيزى

قم المقدسة

٢٥/ ٧ / ١٤٢٨ هجرى

1- خ له: يأتيها.

2- خ له: ثاويها.

3- ديوان الإمام على عليه السلام، ص٤٨٧.

ملاحظة هامّة:

الألفاظ التى ذكرتها فى الكتاب ككلمة (اعلم)، (اغنم)، (انتبه) هذه كلّها خطاب لنفسى أوّلاً ومن ثمّ للقارىء العزيز.

الدّنيا مزرعة الآخرة (١)

اعلم أنّ العمل صالحًا كان أو طالحًا هو فی هذه الـدّنيا حيث ورد أنها دار العمل وأمّا الآخرة فهی دار الجزاء ولا عمل فيها فلذا لابدّ للإنسان قبل أن يذهب إلی دار الجـزاء أن يمـرّ بدار العمل والابتلاء کی يکتسب الکمالات ويصل إلی المقصود وهو أن يکون إنسانًا فی الباطن کما هـو فـی الظـاهر کـذلک فليس الإنسان إلا ذلک الکائن الکامـل ولعـلّ مـا فـی بعـض الروايات عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام ناظر إلی هذا المعنی حيث ورد فی الحديث الشّريف عنهم عليهم السلام: « **نحن النّاس** »[2].

فهم أولياء الله الکمّل والمعصومون المطهّرون من جميع الأدناس، کما قال الله تعالی: « إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا »[3].

1- عوالی اللآلی: ج١، ٢٦٧، الفصل العاشر.

2- بحارالانوار: ج٢٤، ص٩٤، باب ٣٥ - انهم عليهم السلام الناس.

3- الأحزاب: ٣٣.

فما لم يعمل الإنسان فی سبيل تكامله بتحكـيم عقلـه على كلّ قواه « الشّهوية والسّبعية والشّيطانية» فلن تتكامل فيه الإنسانية، فإنّه إن حكم عقله وغلب هذه القوى آنفة الذّكر بأن يصل إلى مرحلة الإعتدال فقد تكامل وإلا فإنّه بعيد عن طريق التّكامل والإنسانية.

فإنّ قوّة الغضب مثلاً لها جانب تفريط وجانب إفـراط والإعتدال فی الوسطية بين الأمرين وهكذا باقی القـوى وهـذا يكون بالرّجوع إلى الشّارع المقدّس فهو العالم بمـصالح العبـاد واعلم أنّ الوقت هو أغلى ما تملكه فی هذه الـدّنيا وأنّـه فـی حالة تصرّم دائم فاليوم الّذی ينقضی لا يرجع أبدًا ففی الحديث الشّريف عن الإمام الصّادق عليه السلام:

« إنّ النّهار إذا جاء قال يابن آدم إعمل فی يومک هذا خيراَ أشهد لک به عند ربّک يوم القيامة فإنّی لـم آتـک فيمـا مضى ولا آتيک فيما بقی واذا جاء اللّيل قال مثل ذلک »[1].

1- بحار الانوار: ج ۷، ص۳۲۵، باب ١٦- تطاير الكتب وانطاق الجوارح، أيضًا وسائل الشيعة، ج١٦، ص۹۳، ۹۵- باب أنّه يجب على الانسان أن يتلافى فی يومه...

وعن الإمام الصّادق عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال:

« قال علي عليه السلام: ما من يوم يمرّ على ابن آدم إلا قال له ذلك اليوم يابن آدم أنا يوم جديد وأنا عليك شهيد فقل فيّ خيراً واعمل فيّ خيراً أشهد لك يوم القيامة فإنّك لن تراني بعده أبداً »[1] .

وليس من المحتّم أن يكون لليوم ليلة يعيشها الإنسان أو أن يكون لليلته يوم فـ:

لابدّ من يــوم بلا ليلة أو ليلــة تأتي بلا يوم[2]

فلا تسوّف في عمل الخير ولا تجعل طول الأمل يبعدك عن ما يجب عليك فعله:

لا تؤجّل عمل اليوم إلى الغد ربّما قبل حلول الفجر تُبعد

لا تفكّر أن في الوقت متسعًا وأنّه يمكن البدء في الغد القريب أو في الشهر المقبل إن الإنسان لايعلم متى يُقرَع

1- المصدر السابق، أيضًا وسائل الشيعة، ج١٦، ص٩٩، ٩٦- باب وجوب محاسبة النفس...

2- شرح نهج البلاغة: ج ١١، ص ١٥٦.

ناقوس الرحيل عليه، إنه ليس له موعد معيّن فقد يكون الوقت ضيقًا جدًا.

عملك هو قرينك الخالد

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

« إنّ إمرءًا ضيّع من عمره ساعة فى غير ما خُلق له لجدير أن تطول عليه حسرته يوم القيامة»(1).

ولاحظ أنّ الشّىء الوحيد الّذى يجعلك سعيدًا إلى الأبد هو عملک الصّالح فلو أنّک ذهبت إلى قبرک بلا عمل او بالعمل الطّالح فسوف تكون تعسًا إلى الأبد ولاينفعك حينئذ أن تنادى وتستغيث وتقول:

« رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ »(2).

فإنّ الجواب سيأتى:

« كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ »(3).

فعليك أن تستغيث بالله وأنت فى هذه الدّنيا كى

1- إرشاد القلوب: ج١، ص٤٩، الباب الثالث عشر فى المبادرة فى العمل.

2- المؤمنون: ٩٩- ١٠٠.

3 - المؤمنون: ١٠٠.

يخلصک من ظلمات المعاصی وآفات الذنوب.

ادع...،

تضرّع...،

ابتهل...،

ناج...، قل له:

« إلهی إن كان قد دنا أجلی ولم يقرّبنی منک عملی فقد جعلت الإعتراف إليک بذنبی وسائل عللی!!! »[1].

ناج ربّک بحزن قلبک وأبک إليه وتضرّع إليه بصوت حزين وقلب ملئه الخشية والخشوع وقل:

« إلهی أنقلنی إلی درجة التّوبة إليک وأعنّی بالبكاء علی نفسی فقد افنيت بالتّسويف والآمال عمری وقد نزلت منزلة الآيسين من خيری فمن يكون أسوأ حالاً منّی إن أنا نقلت علی مثل حالی إلی قبر لم أمهده لرقدتی ولم أفرشه بالعمل الصّالح لضجعتی ومالی لا أبكی ولا أدری إلی ما

1- بحار الانوار: ج ٩٥، ص ٨٩ باب ٦- الاعمال وأدعية مطلق ليالی شهر رمضان...، مقطع من دعاء رواه ابوحمزة الثمالی عن سيد الساجدين عليه السلام.

يكون مصيرى وأرى نفسى تخادعنى وأيّامى تخاتلنى وقد خفقت عند رأسى أجنحة الموت »[1].

وهكذا اشغل أوقاتک بما يرضى الله تعالى فإنّه المقصد الأساسى فأنت جئت إلى هذه الدّنيا بعنوان مسافر فهى - أى الدّنيا - ليست بباقية فإن البقاء والدوام هو فى الآخرة وأنت محتاج إلى كلّ دقيقة بل إلى كلّ لحظة تمرّ عليک فإنّها لن تتكرّر وليس من المعلوم أن تأتى لحظة أخرى، ففى الحديث الشّريف: «أنه يفتح للعبد يوم القيامة على كلّ يوم من أيام عمره أربع وعشرون خزانة عدد ساعات اللّيل والنّهار فخزانة يجدها مملوءة نوراً وسروراً يناله عند مشاهدتها من الفرح والسّرور ما لو وزّع على أهل النّار لأدهشهم عن الإحساس بألم النّار وهى السّاعة الّتى أطاع فيها ربّه ثم تفتح له خزانة أخرى فيراها مظلمة منتنة مفزعة، فيناله منها عند مشاهدتها من الفزع والجزع ما لو قسّم على أهل الجنة لنغّص عليهم نعيمها وهى السّاعة التى عصى فيها ربّه ثم يفتح له خزانة أخرى فيراها خالية ليس فيها ما يسرّه ولا يسوؤه وهى السّاعة الّتى نام فيها أو إشتغل فيها بشىء من مباحات

1- المصدر السابق.

الدّنيا فيناله من الغبن والأسف على فواتها حيث كان متمكّنًا من أن يملأها حسنات ما لا يوصف ومن هذا قوله تعالى: ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ»[1].

فإذا عرفت ذلک فعليک أن تجاهد لکی تشغل أوقاتک بطاعة الله عزّوجل فإنّک أتيت إلى هذه الدّنيا وأنت باک فاسعى أن تخرج منها وأنت مسرور.

ولدتک أمک يا بن آدم باكيًا
والنّاس حولک يضحكون سرورًا
فاجهد لنفسک أن تكون إذا بكوا
في يوم موتک ضاحكًا مسرورًا [2]

واعلم أنّ هذه الحقائق تنكشف في آخر لحظاتک من هذه الدّنيا حيث لا تكون قادرًا على فعل أیّ شیءٍ فقد ورد فی الحديث الشّريف عن أميرالمؤمنين عليه السلام:

« إن ابن آدم إذا كان فی آخر يوم من أيام الدّنيا وأوّل يوم من أيّام الآخرة مُثِلَ له ماله وولده وعمله فيلتفت

1- عدة الداعی: ص١١٣.

2- إرشاد القلوب: ج١، ص٥٢.

إلى ماله فيقول: والله إنّى كنت عليک حريصًا شحيحًا، فمالى عندک؟ فيقول: خذ منّى كفنک!

قال: فيلتفت إلى ولده فيقول:

والله إنّى كنت لكم محبًا وإنّى كنت عليكم محاميًا، فماذا لى عندكم؟ فيقولون: نؤدّيک إلى حفرتک نواريک فيها!

قال: فيلتفت إلى عمله فيقول:

والله إنّى كنت فيک زاهدًا وإن كنت علىّ ثقيلاً، فماذا لى عندک؟

فيقول: أنا قرينک فى قبرک ويوم نشرک حتّى أُعرض أنا وأنت على ربّک... »[1].

فمن الآن وأنت فى هذه الدّنيا إعرف قدر عملک الصّالح واعلم أنّه قرينک الأبدى فاجتهد فيه واجعل أوقاتک معمورة بطاعة ربّک جلّ وعلا واعلم أنّ كلّ وقت تضيّعه فى

---

1 - بحار الأنوار: ج٦، ص٢٢٤، باب ٨ – احوال البرزخ والقبر و...، أيضًا وسائل الشيعة، ج١٦، ص١٠٥، ١٠٠- باب وجوب الاشتغال بصالح الاعمال...

غير طاعة الله سيكون حسرة عليك يوم ينكشف عنك غطاؤك فتبصر بعين الحقيقة كلّ الأشياء على حقيقتها واضحة جلية:

« فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ » [1].

وعندها لن تنفعك الحسرة ولا النّدامة فشمر عن ساعدى الجد والعمل ولا تغفل وأعد عدّتك للسّفر:

« فقد نودى فيكم بالرّحيل»[2].

واستعن بالله فى تحصيل اليقظة والتّنبه وعدم الغفلة وتضرّع إليه رافعًا كفى الخوف والرّجاء مناديًا من أعماق قلبك: الهى...« فما لى لا أبكى، أبكى لخروج نفسى، أبكى لظلمة قبرى، أبكى لضيق لحدى، أبكى لسؤال منكر ونكير إيّاى، أبكى لخروجى من قبرى عريانًا ذليلاً حاملاً وزرى على ظهرى، أنظر مرّة عن يمينى وأخرى عن شمالى إذ

1- سورة ق: ٢٢.

2- نهج البلاغة: ص٣٢١، ٢٠٤ - ومن كلام له عليه السلام كان كثير ما ينادى به أصحابه.

الخلائق فی شأن غیر شأنی...»[1].

قل له بقلب منكسر: « إلی من یـذهب العبـد إلا إلـی مولاه وإلی من یلتجیء المخلوق إلا إلی خالقه؟»[2].

إذ رفّ دموعک وقل له بصوت فجیع:

« إلهی لم أعصک حـین عـصیتک وأنـا بربوبیّتـک جاحد ولا بأمرک مستخفّ ولا لعقوبتک متعرّض ولا لوعیدک متهاون لكن خطیئـة عرضـت وسـوّلت لـی نفـسی وغلبنـی هوای...»[3].

تذكّر ما اقترفته من معاصٍ وادعُ ربّک قائلاً:

« فوا سوأتی[4] علی ما أحـصی كتابـک مـن عملـی الّذی لو لا ما أرجو من كرمک وسعة رحمتک ونهـیک إیّای

---

1 - بحار الانوار: ج ٩٥، ص ٨٩، باب ٦- الاعمال وأدعیة مطلق لیالی شهر رمضان...، مقطع من دعاء رواه ابوحمزة الثمالی عن سید الساجدین علیه السلام.

2- المصدر السابق.

3- المصدر السابق.

4- فی المصدر: كما فی المتن، وفی المصباح: سوأتاه، وفی بعض نسخ الاقبال: سوأتا.

عن القنوط لقنطت عند ما أتذكّرها»[1].

قل له: « أنا يا ربّ الّذى لم أستحيک فى الخلاء ولم أراقبک فى الملاء أنا صاحب الدواهى العظمى أنا الّذى على سيّده اجترى »[2].

وهکذا اجعل المناجاة والدعاء وردک المتّصل فى کلّ يوم، فى کلّ ساعة بل فى کل لحظة وأعلم أنّ ذکر الله من أفضل الأعمال الّتى تسعدک فى الدّارين ففى الحديث الشّريف عن رسول الله ﷺ، قال:

« و اعلموا أنّ خير أعمالکم عند مليککم وأزکاها وأرفعها فى درجاتکم وخير ما طلعت عليه الشّمس، ذکر الله تعالى، فإنّه تعالى أخبر عن نفسه فقال: أنا جليس مَن ذکرنى »[3].

فعندما تنکشف حقيقة الذکر ونتائجه العظيمة فى يوم القيامة فسوف تدرک عندها کم حرمت نفسک من هذه الکنوز العظيمة وستستولى عليک الحسرة والندامة حيث لاتفيدک هذه

1- المصدر السابق.

2- المصدر السابق.

3- بحار الانوار: ج۹۰، ص۱۶۳، باب ۱ – ذکر الله تعالى، أيضًا وسائل الشيعة، ج۷، ص۱۶۲، ۱۰- باب استحباب الاشتغال بذکر الله...

الحسرة فى ذلک اليوم ولکن من الآن أيّها العزيز إغتنم الفرصة قبل أن تصبح عليک غصة وکن لله ذاکرًا فى کلّ زمان وفى کلّ مکان وتضرّع إليه قائلاً:

اجعل « **أوقاتى من اللّيل والنّهار بذکرک معمورة وبخدمتک موصولة حتّى تکون أعمالى وأورادى کلّها وردًا واحدًا وحالى فى خدمتک سرمدًا...»**[1].

ولا تظن أنّ بعملک هذا قد حقّقت الهدف بل لابدّ وأن تکون على وجل من أن لا يکون عملک خالصًا له تبارک وتعالى فإن للإخلاص مراتب ودرجات فاجتهد أن تصل إلى أعلى مراتبه واعلم أنّ کلّ عمل خير تعمله هو توفيق من الله عزّوجل:

« وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ » [2].

فلا تستکثر أيّ عمل تعمله مهما کان شاقًّا بل قل کما قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

1- من دعاء رواه کميل بن زياد النخعى عن اميرالمؤمنين عليه السلام، نقله السيد بن طاووس فى الاقبال ص٧٠٩ والکفعمى فى البلد الامين ص١٩١، ايضا انظر مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمى.

2- النحل: ٥٣.

« إلهى ما عبدناک حقّ عبادتک»[1].

مع أنّه قام على قدميه فى طاعة الله حتّى وَرَمَتا، فنزلت الآية الكريمة تقول له:

« طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ »[2].

1- بحار الأنوار: ج٦٨، ص ٢٣، باب ٦١ – الشكر.

2- سورة طه: ١ و٢.

رضا الله هو المحور

لا بدّ لكلّ واحد منّا نحن المسلمين أن يكون الميزان في كل أعمالنا هو رضا الله عزّوجل وهذا أمر لا يحتاج فـي إثباتـه إلى مزيد بيان وإنّما الكلام في الطّريق الموصل إلى الإلتزام بمـا يرضى الله عزّوجل وهو بإختصار أن لايُقـدِم الإنـسان علـى أيّ فعل أو قول حتّى يرى أن فيه لله رضًا أم لا وهكذا في معاملاتـه بل في سائر تروكه ويراعى في اثناء العمل ذلك أيضًا وذلك بأن يتّخذ قرارًا بعزم أكيد أن يترك كلّ ما يخالف أوامر الله جلّ وعلا ولو ليوم واحد في بدء الأمر ثم يومين وهكذا يروض نفسه على أن تكون طائعة لله، ففي الحديث الشّريف:

« إنّما هي نفسي أروضها بالتّقوى»[1].

---

1 - نهج البلاغة: ص ٤١٦، ٤٥- ومن كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف...

وليلاحظ الإنسان نفسه كلّما حدّثته بمعصية فليتذكّر أنّ الله يراه، ففى الحديث الشّريف:

« خَف الله كأنّك تراه وإن كنت لا تراه فإنّه يـراك[1] فإن كنت ترى أنّه لايراك فقد كفـرت وإن كنـت تعلـم أنّـه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته مـن أهـون النّـاظرين إليك»[2].

1- وهذا هو الإحسان.

2- بحار الانوار: ج ٦٧، ص ٣٥٥، باب ٥٩ – الخوف والرجاء وحسن الظن...، أيضًا وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢٢١، ١٤- باب وجوب الخوف من الله.

استمداد العون من الله عزّوجل

واطلب العون من الله تبارک وتعالی وناجه بلسان ملئة الأمل فی عفوه ومغفرته وقل:

« إلهی قلبی محجوب ونفسی معیوب وعقلی مغلوب وهوایی غالب وطاعتی قلیل ومعصیتی کثیر ولسانی مقرّ بالذّنوب فکیف حیلتی یا ستّار العیوب ویا علّام الغیوب ویا کاشف الکروب»[1].

وتذکر نعم الله تعالی علیک وأنّک کنت ولاتزال تتقلّب فی نعمه ولیکن هذا التّذکر باعثًا علی الخجل من مخالفة أوامره واعلم أن النفوس فطرت علی حبّ من أحسن إلیها وإحسان الله تبارک وتعالی لا حدود له فإذا کانت الفطرة سلیمة فسوف

1- مقطع من دعاء الصباح لأمیرالمؤمنین علیه‌السلام نقله المجلسی قدّس‌سرّه فی بحار الانوار: ج ٨٦، ص٣٣٩، باب ١٣- نافلة الفجر وکیفیتها و...، أیضًا انظر مفاتیح الجنان للشیخ عباس القمی.

ترفض أن يفعل صاحبها ما يخالف أوامر حبيبه وهكذا يكــون في حالة تفكّر فى ما يؤول إليه أمره فيتّعظ.

في الموازنة بين الأعمال

فى الحديث الشّريف:

«اعمل لدنياک کأنّک تعيش أبداً واعمل لآخرتک کأنّک تموت غداً »[1].

اعلم أنّ إنشغالک بأمور الآخـرة يجـب أن لا يعطّـل حرکتک الطبيعية فى الحياة فإنّه لا تعـارض بينهمـا أصـلاً إذا سرت وفق النّهج القويم فإنّه يجب عليک أن تعمل لکى تعيش وتنفق على عيالک وهکذا عليک أن تـزور وتـذهب وتجـىء وتمارس حياتک الطبيعية بکلّ حرّية ولکن فى اطار رضـا الله عزّوجل وهذا معنى الموازنة فإنّک فى اللّحظـة الّتـى تمـارس حياتک الدّنيا بشکل طبيعـى تکـون مـستعدًّا فـى کـلّ لحظـة للرّحيل عنها بأن تکون کلّ أعمالک مرضيّة له تبارک وتعـالى فإنّک فى هذه الحالة تکون قد قمت بما يجب عليک القيام بـه

1- بحار الانوار: ج ٤٤، ص١٣٩، باب ٢٢- جعل تواريخه (امام حسن المجتبى عليه السلام واحواله و...

لدنياک وآخرتک على الوجه الصّحيح فليس مراد الإسلام من تذكيره بالآخرة هو أن ينشغل المسلمون بالعبادة تاركين ورائهم الدّنيا وما فيها من طلب المعيشة والكدّ على العيال و...

وهنا تجدر الإشارة إلى مطلب مهمّ وهو أن الدّنيا هل هى مذمومة أم ممدوحة؟

هنا أورد ما ذكره إمام الأمّة[1] قدس سره فى كتابه الأربعون حديثًا، حيث قال قدس سره:

« يتبيّن من ذلک أن أمام الإنسان دنياوان: دنيا ممدوحة ودنيا مذمومة، فالممدوح هو الحصول فى هذه النّشأة وهى دار التّربية ودار التّحصيل ومحلّ التّجارة لنيل المقامات واكتساب الكمالات والإعداد لحياة أبدية سعيدة مما لا يمكن الحصول عليه دون الدّخول إلى هذه الدّنيا كما جاء فى خطبة لمولى الموحّدين أميرالمؤمنين عليه السلام ردّا على من ذمّ الدنيا: « إنّ الدّنيا دارُ صدق لمن صَدَقَها ودارُ عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزوّد منها ودار موعظة لمن اتّعظ بها، مسجد أحبّاء

1 - الامام الخمينى قدس سره

الله ومصلّى ملائكة الله ومَهبَطُ وحى الله ومتجرُ أوليـاء الله اكتسبوا فيها الرحمة ورَبَحُوا فيها الجنّةَ» انتهى الحديث.

ثمّ قال تتش:

« بل المذموم هو دنيا الإنسان نفسه أى التّوجّـه إليهـا والتّعلق بها وحبّها وهذا هو منشأ كلّ المفاسد والخطايا القلبية والظاهرية »[1] انتهى كلامه رفع فى الخلد مقامه.

أقول فتحصّل من ذلك أن الـدّنيا ممدوحـة بمـا هـى طريق للآخرة ومزرعة لها فبدون المجىء إلى الـدّنيا لايمكـن الوصول للآخرة وهى مذمومة بما هى لهو وتفـاخر ولعـب إذاً فى الحقيقة هى دنيا الإنسان نفسه فإن كانت لفعل الخيـر فهـى ممدوحة وإن كانت للشّهوات واتّباع الهوى فهى مذمومـة فمـا ورد من أن : « **حبّ الدنيا رأس كل خطيئة** »[2].

إنّما هو حبّها بما هى مدّعاة لحبّ جميع الرّذائل وأمـا حبّ البقاء فيها لأجل العـبادة والعمل الصّالح الّذى لـن يتسنّى

1- الأربعون حديثًا، ص ١٤٤

2- بحار الانوار: ج٥١، ص٢٥٨، باب ١٤- ذكر أخبار المعمرين...

القيام بـه فـی الآخـرة فـإن هکـذا حبًّـا، لـيس رأسًـا لکـل خطيئة.

فيا أيّها العزيز إملأ دنياک بمـا ينفعـک يـوم حـشرک ونشرک فإنک تحشر مع عملک فاجهد أن يکون صالحًا ففـی الحديث الّذی ذکره الشّيخ الصّدوق فی أماليه إشارة إلی ذلک حيث قال:

قال قيس بن عاصم وفدت مع جماعة من بنـی تمـيم إلی النّبی صلى الله عليه وآله، فدخلت عليه وعنده الصلـصال بـن الـدلهمس، فقلت يا نبی الله عِظنا موعظة ننتفع بها، فإنّا قوم نعبر فی البرية، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

« يا قيس إنّ مع العِزِّ ذلاً وإن مع الحياة موتًا وإنّ مع الدّنيا آخرة وإنّ لکلّ شیء حسيبًا وعلی کلّ شیء رقيبًـا وإنّ لکلّ حسنة ثوابًا ولکلّ سيئة عقابًا ولکلّ أجل کتابًا وإنّه لابدّ لک يا قيس من قرين يدفن معک وهو حی وتدفن معه وأنت ميّت فإن کان کريمًا أکرمک وإن کان لئيمًا أسـلمک ثـمّ لا يحشر إلا معک ولا تبعث إلا معه ولاتسأل إلا عنه فلا تجعله إلا صالحًا فإنّه إن صلح آنست به وإن فسد لا تستوحش إلا

منه وهو فعلك، فقال يا نبى الله أحبّ أن يكون هذا الكلام فى أبيات من الشعر نفتخر به على من يلينا من العـرب ونـدّخره، فأمر النّبى ﷺ أن يأتيه بحسّان بن ثابت. قال فأقبلـت أفكـر فيما أشبه هذه العظة من الشعر فاستتب لى القول قبل مجـىء حسّان فقلت: يا رسول الله قد حضرتنى أبيات أحسبها توافـق ما تريد، فقلت:

تخيّر قرينًا[1] من فعـــالك إنّـما
قرين الفتى فى القبـر ما كان يفعل
و لابدّ بعد الموت مـن أن تـعـدّه
ليوم ينادى المــــرء فيه فيقبــــل
فإن كنت مشغولاً بشىءٍ فلا تكـن
بغير الّذى يرضـــى به الله تشغل
فلن يصحب الإنسان من بعد موته
ومن قبله إلا الّـــذى كان يعمـــل

1- خ له: خليطًا.

ألا إنّما الإنســان ضيف لأهــله

يقيم قليلاً عندهم ثمّ يرحــل »[1]

وفيما قيل أنّه من شعر الإمام أميرالؤمنين عليه السلام:

يا من بدنياه إشتغل قد غرّه طــول الأمل

الموت يأتى بغتــة والقبر صُندوق العمل[2]

« اللّهم ارزقنى التّجافى عن دار الغرور والأنابة إلـى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الفوت...»[3].

وخلاصة القول كما قال عزّ من قائل:

« وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا »[4].

1- الامالى للصدوق (ره) : المجلس الأول، ص٢، أيضًا بحارالأنوار، ج٧٤، ص١٧٨، ٧- باب ما جمع من مفردات كلمات الرسول صلى الله عليه وآله.

2- ديوان الإمام عليه السلام: ص ٣١٢

3- بحار الأنوار: ج ٩٥، ص٦٣، الباب الحادى والثلاثون فيما نذكره مما يختص بالليلة السابعة والعشرين من شهر رمضان.

4- القصص: ٧٧.

في حسن الظّن بالله تعالى

اعلم أنّ الله عزّوجل أنعم عليک بنعم لا تعدّ ولا تحصى ومن هذه النّعم الجمة هو أنّه وفّقک لعمل الصّالحات فقد ورد فى الحديث الشّريف عن الإمام الرّضا عليه‌السّلام قال:

« قال الله: يا بن آدم بمشيئتى كنت أنت الّذى تشاء لنفسک ما تشاء...

إلى أن قال:

ما أصابک من حسنة فمن الله وما أصابک من سيئة فمن نفسک وذلک أنّى أولى بحسناتک منک وأنت أولى بسيّئاتک منّى...»[1].

فلا تتّكل على عملک ظانًا أنّه هو المنجى وأنّک مستحق للثّواب بعملک بل أنت مقصر على كلّ حال فمن حسن الظنّ بالله ألاّ يتّكل عامل الصّالحات على عمله ففى الحديث الشّريف عن أبى جعفر عليه‌السلام قال:

---

1 - أصول الكافى، ج١، ص١٥٢، كتاب التوحيد، باب المشية والإرادة، ح٦.

« قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله تبارك وتعالى:

لا يتّكل العاملون على أعمالهم الّتى يعملون بها لثوابى، فإنّهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم وأعمارهم فى عبادتى كانوا مقصّرين غير بالغين فى عبادتهم كنه عبادتى، فيما يطلبون من كرامتى والنّعيم فى جنّاتى ورفيع الدّرجات العلى فى جوارى، ولكن برحمتى فليثقوا، وفضلى فاليرجو وإلى حسن الظن بى فليطمئنّوا، فإن رحمتى عند ذلك تدركهم ومنّى أبلغهم رضوانى أبلسهم عفوى فإنّى أنّا الله الرّحمن الرحيم وبذلك تسمّيت»[1].

إذاً ليس معنى حسن الظّن بالله تعالى أن يعمل الإنسان السيّئات ولا يعمل العمل الصّالح، ثمّ يقول عفو الله يدركنى فإنه مثل المُزارع الّذى لم يبذر الأرض أو بذرها ولم يقضى على موانع الزّرع وهو ينتظر الثّمار فإنّ هذا الإنتظار لا يسمى حسن ظن أو رجاء بل هو حماقة وبله.

1- بحار الانوار: ج ٦٧، ص٣٨٥، باب ٥٩ - الخوف والرجاء وحسن الظن بالله تعالى.

فقد ورد فى الحديث الشّريف عن أبى‌عبدالله الصادق عليه‌السلام:

«حسن الظنّ بالله أن لاترجوا إلا الله ولا تخاف إلا ذنبک»[1].

فأحسن ظنّک بالله بأن تعمل الصّالحات وترجو من الله القبول ولا تعمل السّيّئات وكن لله راجيًا أن يدخلك جنّته بعفوه وإحسانه ورحمته وقل فى دعائک وأنت على هذا الحال من الخوف والرجاء:

«إلهى كيف أدعوک وأنا أنا وكيف لا أدعوک وأنت أنت»[2]، «أدعوک يا سيدى بلسانٍ قد أخرسه ذنبه، رب أناجيک بقلبٍ قد أوبقه جرمه، أدعوک يا ربّ راهبًا راغبًا راجيًا خائفًا إذا رأيتُ مولاى ذنوبى فزعت وإذا رأيت عفوک طمعت.»[3].

ناجه ودموعک منحدرة على خدّک متضرعًا إليه قائلاً:

1- المصدر السابق، أيضًا وسائل‌الشيعة، ج١٥، ص ٢٣٠، ١٦- باب وجوب حسن الظّن بالله.

2- بحار الانوار: ج ٩١، ص ١٣٨، باب ٣٢ – أدعية المناجاة.

3- بحار الانوار: ج ٩٥، ص ٨٣، باب ٦- الاعمال وأدعية مطلق ليالى شهر رمضان...، مقطع من دعاء رواه ابوحمزة الثمالى عن سيد السّاجدين عليه‌السلام.

« عظم يا سيّدی أملی وساء عملی فأعطنی من عفوک بمقدار أملی ولاتؤاخذنی بأسوإ عملی»[1].

إبکِ إليه وقل له يا ربّ:

« لسنا نتّكل فی النّجاة من عقابک علی أعمالنـا بـل بفضلک علينا لأنّک أهل التّقوی وأهل المغفرة تبدء بالإحسان نعمًا وتعفو عن الذّنب كرمًا»[2].

واعلم أنّ الله أرحم بک من نفسک علی نفـسک وهـو القائل:

« ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ »[3].

فلا تمل ولا تكل من الدّعاء لعلّک بدعائک وتضرّعک له تبارک وتعالی تنجو ممّا تخاف.

1- المصدر السابق.

2- المصدر السابق.

3- غافر: ٦٠.

الخوف والرّجاء

إنّ أفضل ما يكون للوصول إلى التّعادل بين الخوف والرّجاء هو التّأمّل فى عزّ الرّبوبيّة وذلّ العبوديّة فإنّ العبد مهما كان مطيعًا يبقى فى حالة الخوف لأنّه يرى نفسه مقصّراً فى طاعة الله وإذا نظر إلى عظمة وجلال المعبود وسعة جوده وكرمه صارت عنده حالة الرّجاء وبقدر المعرفة بهذين المقامين -ذلّ العبوديّة وعزّ الرّبوبيّة - تكون عنده حالة الخوف والرّجاء شدة وضعفًا وهما أى - الخوف والرّجاء - ممّا لا يخلو منه قلب مؤمن فقد ورد فى الحديث الشّريف عن مولانا الإمام الصّادق عليه السلام فى ذيل حديث له، قال:

« كان أبى عليه السلام يقول :

إنه ليس من عبد مؤمن إلا فى قلبه نوران: نور خيفة ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا»[1].

1- بحار الانوار: ج ٦٧، ص٣٥٢باب ٥٩ - الخوف والرجاء وحسن الظن بالله.

فإنّه كلّما تنبّه المؤمن إلى أنّ كلّ حسناته هـى توفيـق من الله:

« مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ »[1].

وأنّه فى مقام العجز التّام عن شكر ولى نعمه حصل لـه الخوف وكلّما تنبّه إلى أنّه فى مقام الفقر التّام:

« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ »[2].

وأنّ الله فى مقام الغنـى المطلـق صـارت عنـده حالـة الرجاء فى عفو الله ورحمته وجوده فإنّه لا تـضرّه معـصية ولا تنفعه طاعة العباد له، فإذا علمت بذلك فجاهد كى تـصل إلـى هذا المقام فإذ وصلت فثبّت الخوف والرّجاء فى قلبک وارفـع كفک إلى السّماء وقل:

« إلهى لو قرنتنى بالأصفاد ومنعتنى سيبک من بـين الأشهاد ودللت على فضائحى عيون العباد وأمرت بى إلى

1- النساء: ٧٩.

2- فاطر: ١٥.

النّار وحُلت بينى وبين الأبرار ما قطعت رجائى منک»[1].

تذلّل إليه قائلاً:

« إذا رأيت مولاى ذنوبى فزعت وإذا رأيت كرمک طمعت»[2].

وهكذا يكون المؤمن يرجوا رحمة الله وعفـوه وكرمـه ولطفه ولكن وبنفس المقدار يخاف عدل الله إذ أنّ الله لو عامل الإنسان بعدله فلن ينجوا أحد:

« اللّهم عاملنا بفضلک ولا تعاملنا بعدلک ».

فلو لاحظت ما ورد فى وصية لقمان لابنه حيـث قـال فيها:

« فإن نجوت فبرحمة الله وإن هلكت فبذنوبک»[3].

فسوف تدرک تمامًا أن أعمالک الصّالحة ليـست هـى المنجية لک وحدها بل لابدّ وأن تشملک رحمة الله كى تنجـو

1- بحار الانوار: ج ٩٥، ص ٨٧، باب ٦- الاعمال وأدعية مطلق ليالى شهر رمضان،... مقطع من دعاء رواه ابوحمزة الثمالى عن سيد الساجدين عليه السلام.

2 - المصدر السابق.

3 - بحار الانوار: ج٦، ص٢٥٠، باب ٨ – احوال البرزخ والقبر و...

وهنا يتجلّى مصداق مهم للرّجاء الحقيقى وهو أن تعمل وتجتهد فى عملک الصّالح وترجوا من الله القبول فيكون طمعـک فـى القبول هو أحد مصاديق الرّجاء.

مواعظ لقمان

لا بأس إتمامًا للفائدة من ذكر ما رواه على بن إبراهيم فى تفسيره بإسناده عن حماد:

قال سألت أباعبدالله عليه السلام عن لقمان وحكمته الّتى ذكرها الله عزّوجل... قال أبو عبدالله فى قول الله:

« وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ »[1].

قال: « فوعظ لقمان إبنه بآثار حتّى تفطر وانشق وكان فيما وعظه به يا حمّاد أن قال: يا بنىّ إنّك منذ سقطت إلى الدّنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة فدار أنت إليها تسير أقرب إليك من دار أنت عنها متباعد، يا بنىّ جالس العلماء وأزحمهم بركبتيك ولاتجادلهم فيمنعوك وخذ من الدّنيا بلاغًا ولا ترفضها فتكون عيالاً على النّاس، ولا تدخل فيها دخولاً يضرّ بآخرتك وصم صومًا يقطع شهوتك ولا تصم

1- لقمان: ١٣.

صيامًا يمنعك من الصّلاة فإن الصّلاة أحبّ إلى الله من الصّيام، يا بنيّ إنّ الدّنيا بحر عميق قد هلك فيها عالم كثير، فاجعل سفينتك فيها الإيمان واجعل شراعها التّوكل واجعل زادك فيها تقوى الله، فإن نجوت فبرحمة الله وإن هلكت فبذنوبك، يا بنى إن تأدّبت صغيراً إنتفعت به كبيراً ومن عنى بالأدب إهتمّ به ومن إهتمّ به تكلّف علمه ومن تكلّف علمه إشتدّ له طلبه ومن إشتدّ له طلبه أدرك منفعته فاتّخذه عادةً، فانّك تخلف فى سلفك وينتفع به خلفك ويرتجيك فيه راغب ويخشى صولتك راهب وإيّاك والكسل عنه بالطّلب لغيره، فإن غلبت على الدّنيا فلا تغلبن على الآخرة فإذا فاتك طلب العلم فى مظانّه فقد غلبت على الآخرة، واجعل فى أيّامك ولياليك وساعاتك لنفسك نصيبًا فى طلب العلم فإنّك لن تجد له تضييعًا أشدّ من تركه ولا تمارين فيه لجوجًا ولا تجادلن فقيهًا ولا تعادين سلطانًا ولا تماشين ظلومًا ولا تصادقنه ولاتؤاخين فاسقًا ولا تصاحبن متّهمًا واخزن علمك كما تخزن ورقك، يا بنيّ خف الله خوفًا لو أتيت يوم القيامة

ببرِّ الثّقلين خفت أن يعذّبک وارج الله رجاءً لو وافيت القيامـة بإثم الثّقلين رجوت أن يغفر الله لک.

فقال له إبنه:

يا أبة وكيف أُطيقُ هذا وإنّما لی قلب واحد؟

فقال له لقمان:

يا بنیّ لو استخرج قلب المؤمن فشقّ لوجد فيه نوران:

نور للخوف ونور للرّجاء، لو وزنا لما رجـح أحـدهما على الآخر بمثقال ذرّة، فمن يؤمن بالله يصدق ما قال الله ومن يصدق ما قال الله يفعل ما أمر الله ومن لم يفعل ما أمر الله لم يصدق ما قال الله، فإنّ هذه الأخلاق يشهد بعضها لبعض، فمن يؤمن بالله إيمانًا صادقًا يعمل لله خالصًا ناصحًا ومن يعمـل لله خالصًا ناصحًا فقد آمن بالله صادقًا ومن يطع الله خافـه ومـن خافه فقد أحبّه ومن أحبّه اتّبع أمره ومن اتّبع أمره إسـتوجب جنّته ومرضاته ومن لم يتّبـع رضـوان الله فقـد هـان سـخطه - نعوذ بالله من سخط الله - يا بنیّ لا تركن إلـى الـدّنيا ولا تشغل قلبک بها، فما خلق الله خلقًا هو أهـون عليـه منهـا، ألا

ترى أنّه لم يجعل نعيمها ثوابًا للمطيعـين ولـم يجعـل بلاءهـا عقوبةً للعاصين»[1].

1- تفسير على بن ابراهيم القمى، ج٢، ص ١٦٣، مواعظ لقمان لابنه، أيضًا بحار الأنوار: ج ١٣، ص٤١١ – ٤١٣، باب ١٨- قصص لقمان وحكمه...

في التّوبة والإنابة إلى الله تعالى

ولابدّ من الإشارة إلى أن رحمة الله أوسع من أن لا تشمل المذنبين التّائبين فإنّه قال:

« أحبّ عبادي المستغفرين التّائبين الرّاغبين إلى فيما عندى »[1].

فإنّ الطّمع في رحمته وعفوه وكرمه بعد الإنابة والتّوبة هو مظهر من مظاهر الرّجاء المطلوب وقد ذكر الشّيخ الصدوق طاب ثراه في أماليه بإسناده عن ابن عباس قال:

« مرّت امرأة من الجنّ تمشى على شاطيء البحر، فإذا هى بإبليس اللعين ساجدًا على صخرةٍ صمّاءٍ تسيل دموعه على خدّيه، فقامت تنظر إليه تعجّبًا، ثم قالت له: ويحك يا إبليس ما ترجو بطول السّجود؟ قال لها: أيّتها المرأة الصّالحة، إبنة الرّجل الصّالح، أرجوا إذا برّ ربّى قسمه وأدخلنى نار جهنّم، أن يخرجنى من النّار برحمته»[2]. وهنا لابدّ من الإشارة

1- بحار الانوار: ج ١٢، ص٣١٢، باب ٩- قصص يعقوب ويوسف...

2- الامالى للصدوق (ره) : المجلس السابع والثلاثون، ص٢٠٥.

إلى أنّ إيرادى هذا الحديث لا أقصد منه القول بأن الإنسان يغرق فى ذنوبه ومعاصيه ولا يقوم بأىّ طاعة أملاً منه فى عفو الله عزّوجل، بل إنّما أوردته للتّعريف بأنّه حتّى إبليس مع ما توعّده الله به من النّار والعذاب الأليم ولكن لعلمه بأن رحمة الله وسعت كلّ شىءٍ وأنّ الله أرحم الرّاحمين صار عنده طمع فى أن تشمله الرّحمة الإلهيّة فيكون ذكرى لهذا الحديث من باب التّرغيب وعدم القنوط من رحمة الله:

« قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا »[1].

وعليه فإن اليأس والقنوط من رحمة الله من أعظم الذّنوب ومن مكائد الشّيطان الرّجيم فمهما كانت عليک صلاة قضاء كثيرة أو صوم قضاء كثير أو كفارات كثيرة أو ذنوب متراكمة كثيرة أو حقوق للناس عليک فإن هذا كلّه لايجب أن يكون باعثًا على القنوط واليأس بل بإمكانک أن تنيب إلى الله وتتوب إليه وعندها فإن الله سيسهل عليک الطريق ويمدّک

1- الزمر: ٥٣.

بالعون والقوة ولاتنسى أن هذه الفرصة « التوبة » ليس لها فعّالية إلا وأنت في هذه الدّنيا وأمّا إذا بدت لك أحوال الآخرة وصرت إلى مقرّك الأبدى فلن تكون مقبولة ولهذا فإن المسارعة إلى التّوبة من الواجبات فإن تاريخ إنتهاء مدة حياتى وحياتك غير معلوم لدينا - أنا وأنت - فلعلّ هذا الوقت قريب جدًّا وحينها لن تنفع التّوبة ولا النّدامة، كما قال عزّوجل:

« وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ »(1).

فإنّك إذ عاينتَ أحوال الآخرة فلن تنفعك توبتُك.. فمن الآن وأنت فى هذه الدنيا تستطيع أن تتوجّه إلى الله وأنت فى حالة إخلاص وذل وإنكسار وحاول أن تبكى وأنت على هذا الحال وتذكّر أن رحمة الله أوسع من أن لا تشملك واجعل الخشوع ملء قلبك فقد ورد فى الحديث الشّريف:

« إن الرّجل ليكون بينه وبين الجنة أكثر مما بين الثرى والعرش لكثرة ذنوبه فما هو إلا أن يبكى من خشية الله

1- النساء: ١٨.

عزّوجل ندمًا عليها حتّى يصير بينه وبينها أقرب من جفنه إلى مقلته »[1].

فاعرف قدر بكائك بين يدى الله عزّوجل خشية منه وقدر دموعك فإنها علامة الإجابة، وتوسّل إليه قائلاً:

يا ربّ! يا ربّ! يا ربّ!

« اللّهم اغفر لى كلّ ذنب أذنبته وكلّ خطيئة أخطأتها...»[2].

قل له:

«يا ربّ! ارحم ضعف بدنى ورقّة جلدى ودقّة عظمى... »[3].

تذلّل إلى ربّك وقل:

1- عيون أخبار: ج٢، ص٣، ٣٠- باب فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المنثورة.

2- من دعاء رواه كميل بن زياد النخعى عن اميرالمؤمنين عليه السلام، نقله السيد بن طاووس فى الاقبال ص٧٠٩ والكفعمى فى البلد الامين ص١٩١، ايضا انظر مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمى.

3 - المصدر السابق.

« كن اللّهم بعزّتک لی فی کلّ الأحوال رءوفًا وعلیّ فی جمیع الأمور عطوفًا... »[1].

ادع ربک وتضرّع إلیه منیبًا تائبًا من ذنوبک وقل:

« وقد أتیتک یا إلهی بعد تقصیری وإسرافی علی نفسی معتذّرًا نادمًا منکسراً مستقیلاً مستغفراً منیبًا مقرًّا مذعنًا معترفًا لا أجد مفرًّا ممّا کان منّی ولا مفزعًا أتوجّه إلیه فی أمری غیر قبولک عذری وإدخالک إیّای فی سعة من رحمتک.» [2].

1- المصدر السابق.

2- المصدر السابق.

في ذكر الموت

قال رسول الله ﷺ:

« ما من بيت إلا وملك الموت يقف عليه خمس مرّات، فإذا وجد الرجل قد انقطع أجله ونفد أكله، ألقى عليه غمّ الموت فغشيته كرباته وغَمَرَتهُ غمراته فمن أهل بيته النّاشرة شعرها والضّاربة وجهها والباكية شجوها والصّارخة بويلها فيقول ملك الموت: ويلكم فما الجزع والفزع؟ والله ما أذهبت لواحد منكم رزقًا ولا قرّبت له أجلاً ولا أتيته حتّى أمرت ولا قبضت روحه حتّى استأمرت وإنّ لى فيكم عودة ثم عودة حتّى لايبقى منكم أحد - ثم قال ﷺ - والّذى نفسى بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه، لذهلوا عن ميّتهم ولبكوا على نفوسهم، حتّى إذا حمل الميّت فى نعشه، رفرفت روحه فوق نعشه، تنادى: يا أهلي ويا ولدى! لا تلعبن بكم الدّنيا كما لعبت بى مال جمعته من حلّة ومن غير حلّة وخلفته لكم، المهنأ لكم والتّبعة علىّ فاحذروا مثل ما قد

نزل بی »[1].

فاحذر أنت وأنت فی هذه الدنیا قبل أن تحذّر غیرک بعد أن تنکشف لک الحقیقة فإنه عندها لن ینفعک أن تنادی وتقول:

« رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِی كُنَّا نَعۡمَلُ »[2].

فإنه سیأتی الجواب:

« أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ »[3].

فمن الآن وأنت فی الدّنیا اعمل صالحًا ولا تجعل الدّنیا ومالها وعمرانها أکبر همّک، بل علیک أن تفکّر فی ذلک الیوم الّذی تنتهی فیه حیاتک فی هذه الدّنیا وکیف ستواجه الموت وما بعده، تذکّر أهوال الموت والبرزخ واشراط السّاعة وعذاب یوم القیامة ثم أبکِ علی نفسک وعلی ما فرّطت فی جنب الله وقل: « **اللّهم نبّهنی من نومة الغافلین** »[4].

1- إرشاد القلوب: ج۱، ص٦٢.

2- فاطر: ٣٧.

3- فاطر: ٣٧.

4- بحار الانوار: ج ٩٥، ص٤، فصل فیما نذکره من الأدعیة کل یوم غیر متکررة.

وكن على يقين من أن الله عزّوجل هو ملجئك الوحيد فناجه وو توسّل اليه قائلاً: يا ربّ! لا طاقة لى على عذاب الآخرة!

« يا كريم، يا ربّ، وأنت تعلم ضعفى عن قليل من بلاء الدنيا وعقوباتها وما يجرى فيها من المكاره على أهلها على أنّ ذلک بلاء ومكروه قليل مكثه، يسير بقائه، قصير مدّته، فكيف احتمالى لبلاء الآخرة وحلول (جليل) وقوع المكاره فيها وهو بلاء تطول مدّته ويدوم مقامه ولايخفّف عن أهله لأنه لايكون إلا عن غضبک وانتقامک وسخطک وهذا ما لا تقوم له السّماوات والأرض، يا سيّدى فكيف بى وأنا عبدک الضّعيف الذّليل الحقير المسكين المستكين.»[1].

تذكّر أنّک فى مقام التذلّل والتضرّع والمسكنة والضّعف أمام الرّحمن الرّحيم الرّؤف الغفور العطوف وأنّک قادر على أن تحيا فى الآخرة حياة سعيدة إلى الأبد بتوبتک وإنابتک إلى الله وتذكّر أنک لو ذهبت عن هذه الدنيا بدون توبة فستحيا

1- الاقبال: ص٧٠٦، فصل فيما نذكره من الدعاء والقسم...

حياة غير مستقرة في قبرك مع الثعابين والعقارب وفي آخرتك مع العذاب الأليم وهذا ما لا يصنعه بنفسه من يحبّها ولا تسوّف في التّوبة فإنّك لا تعلم متى تموت حتّى تقول بعد سنة أتوب أو أقل أو أكثر فإنّك لاتعلم أنك حيّ إلى ذلك الوقت ولذا كانت التّوبة من الواجبات الفورية.

فابك إلى ربّك في جوف اللّيل وقلبك مفعم بروح الخشية وناده بصوت حزين وقل:

« فعفوك عفوك يا مولاي، قبل سرابيل القطران، عفوك عفوك يا مولاي، قبل جهنّم والنيران، عفوك عفوك يا مولاي، قبل أن تغلّ الأيدي إلى الأعناق، يا أرحم الرّاحمين وخير الغافرين »[1].

1- مقطع من دعاء الحزين: بحار الأنوار: ج٨٤ ص٢٨٨، باب ١٢- كيفية صلاة الليل والشفع...

الخاتمة

لا يسعنى فى نهايـة هـذا الكتـاب إلا أن أطلـب مـن القارىء العزيز أن لا يحرمنى من دعائه، فلعلّى بدعاء إخـوانى المؤمنين أجد طريق النّجاة.

لما ورد فى خطاب الله تعالى لموسى عليه السلام:

« ادْعُنِى بلِسَان لَمْ تَعْصِنِى بهِ فَقَالَ أَنَّى لِى بِذَلِكَ قَالَ ادْعُنِى بلِسَانِ غَيْرِكَ »[1].

ولما ورد عن مولانا الصّادق عليه السلام:

« دُعَاءُ الْمُؤْمِنِ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابٌ»[2].

وأدعُ الله عزّوجل متضرّعًا إليه وأقول:

1- بحارالأنوار، ج٩٠، ص ٣٩٠، باب ٢٦- الدعاء للإخوان بظهر الغيب و...، وسائل الشيعة، ج ٧، ص١٠٩، ٤١- باب استحباب الدعاء للمؤمن بظهر.

2- المجلسى عن قرب الإسناد، بحار الأنوار، ج٩٠، أيضًا انظر الى الجعفريات، ص١٩٥، باب فى ذكر ابنات، مستدرك الوسائل، ج ٥، ص٢٤٣، ٣٩ باب استحباب الدعاء للمؤمن بظهر...

« رَبَّنا وَسَعتَ كُلَّ شَىءٍ رَحمَةً وعِلمًا فَاغفِر لِلَّذينَ تابُوا واتَّبَعُوا سَبيلَكَ وقِهِم عَذابَ الجَحيمِ، رَبَّنا وأَدخِلهُم جَنّاتِ عَدنٍ الَّتى وَعَدتَهُم ومَن صَلَحَ مِن ابآئِهِم وأزواجِهِم وذُرِّيّاتِهِم إنَّكَ أنتَ العَزيزُ الحَكيمُ، وقِهِمُ السَّيِّاتِ ومَن تَقِ السَّيِّئاتِ يَومَئِذٍ فَقَد رَحِمتَهُ وذلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظيمُ »[1].

1 - غافر: ٩- ٧

المصادر

القرآن الكريم

نهج البلاغة

اصول الكافى .... الشيخ الكلينى ﵀

بحارالأنوار .... العلامة المجلسى ﵀

وسائل الشيعة .... الحرّ العاملى ﵀

مستدرك الوسائل .... المحدّث النّورى ﵀

الأمالى .... الشيخ الصدوق ﵀

تفسير.. على بن ابراهيم القمى ﵀

عيون الأخبار............................ الشيخ الصدوق ﵀

عوالى اللآلى .... ابن أبى جمهور الإحسائى ﵀

عدّة الدّاعى .... ابن فهد الحلى ﵀

جعفريّات .... محمد بن محمد بن اشعث

الإقبال....................................... السيد بن طاووس ﵀

البلد الأمين.............................. الشيخ الكفعمى ﵀

إرشادالقلوب .... الديلمى

الأربعون حديثًا .... الإمام الخمينى ﷺ

شرح نهج البلاغة .... ابن أبى الحديد المعتزلى

مفاتيح الجنان .... الشيخ عباس القمى ﷺ

الديوان المنسوب لمولانا اميرالمؤمنين عليه السلام

الفهرس

دار العصمة/كتب - قرطاسية - ترجمة - طباعة - خدمات أخرى

مملكة البحرين - السنابس

daralesmah@hotmail.com – ٠٠٩٧٣/٣٩٢١٤٢١٩ – ٠٠٩٧٣/١٧٥٥٣١٥٦